

ضرورة التجديد الاستراتيجي للسياحة في الجزائر - مقال للنشر -

أ. دحماني علي

أستاذ علم الاجتماع

جامعة مولود معمري بتيزي وزو

ملخص :

أصبحت السياحة ظاهرة عالمية فرضت نفسها بين الأنشطة الاقتصادية ، لكن دون أن تأخذ حقها في الجزائر. فمستوى النشاط السياحي فيها بعيد عن الإمكانيات الموجودة بها ، إمكانيات هامة وكافية للإقلاع ، لكن هذه الثروة غير مستغلة بما فيه الكفاية، بحيث لم يدخل الجزائر من السواح في السنوات الأخيرة إلا العدد القليل مقارنة بالدول المجاورة مثل تونس والمغرب.

يمكن للسياحة عندنا أن تحقق نتائج إيجابية والوصول إلى الهدف المتمثل في جلب أكبر عدد ممكن من الزوار والسياح ، للحصول على إيرادات إضافية تلبي حاجيات البلاد من العملة الصعبة . يكفي فقط العودة والنظر إلى التجارب التي حققت نجاح في النشاط السياحي ونستمد من نجاحاتهم ومن اخفقاتهم ، ولإعطاء البعد اللائق والأهمية اللازمة حسب الإمكانيات الكبيرة المتوفرة لدينا .

يتعلق الأمر بتنمية القوى السياحية المحلية وإدراجها في المحيط والسياق التجاري الوطني ، من خلال استراتيجية جديدة محكمة ومدروسة بدقة ، تجعل الجزائر وجهة سياحية ذات مستوى وقيمة وعلامة معترف بها . والواجب لتحقيق هذه الأهداف هو التكفل بمختلف محاور العمل في هذا القطاع ، وبتحديد طريقة عملية منظمة ومستمرة تسمح بالتنعم بنشاط يطمح في المشاركة أنيا في المداخل الوطنية ، ومستقبلا بتعويض مداخل الطاقة الغير متجددة المتمثلة في ثروة البترول والنفط.

الإستراتيجية المرجوة ، لا بد أن ترمي إلى إعادة التوازن من حيث تغيير سمة الجزائر من بلد مصدر للسواح ، إلى وطن مستقبل وموفر للخدمات السياحية ، يرفع من خلالها مداخله

السياحية ، إنه ضروري تغيير لغة الكم بمبدأ النوعية بالتخلي على طريقة حساب عدد السواح المتوافدين على الجزائر كل سنة فقط.

إمكانيات حقيقية تزخر بها الجزائر يمكن أن تستقطب بها السواح والزوار من مختلف أنحاء العالم ، وهذا لتعدد المناطق السياحية وتميز كل منطقة عن الأخرى من حيث الخصائص ، بحيث تختلف سياحة منطقة عن سياحة منطقة أخرى باختلاف الفصول والتضاريس والمناسبات والأعياد . السياحة قطاع استراتيجي فعلا ، للمداخل التي يمكن أن يجلبها ، لو تم التحكم أحسن في التسيير وتسطير التوجيهات واحترامها ، وأخذ المبادرات والحرص على الانسجام والتنظيم المستمر والمتواصل ، والتخصص بدل التشتت والإهمال.

مداخل الجزائر من هذا القطاع متواضعة وبعيدة عن مستوى البلدان المحيطة ، هي أقل أهمية في بلدنا من حيث الثروات السياحية المختلفة ، وكل ذلك يعود أيضا إلى تراجع الاستثمارات ونقص المبادرات وقلة إمكانيات الاستقبال ، بحيث يتم الاعتناء أكثر بقطاعات لا تقل أهمية في الحقيقة من السياحة ، كالزراعة وعالم الريف ، والهياكل القاعدية مثل الطرقات وكذلك التعليم والصحة .

مدخل :

يتطور ويتحول العالم بسرعة فائقة ، يتغير بصورة يطرح رهانات وتحديات جمة ، تجعل الدول والحكومات منشغلة على الدوام في رسم استراتيجيات ووضع سياسات ، ترمي من خلالها إلى إصلاحات مباشرة وغير مباشرة ، طويلة وقصيرة الأمد ، تهدف من خلالها إلى التجديد والإنعاش وتحسين الظروف على أكثر من صعيد .

ومن بين هذه السياسات والإستراتيجيات ، البرامج التنموية ببعدها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، النابعة من شعور عام ومن وعي شامل بضرورة التغيير الظروف الموضوعية ، عن طريق بذل مجهود متواصل لتحقيق نجاحات ملموسة ومشرفة .

دروب التنمية ليست دروبا معبدة نسلها بكل اطمئنان ، بل تتطلب توضيحات ينبغي قياس مداها وتأثيرها للتمكن من جني ثمارها . وتبدو أن هذه

الدروب وفي كل مرة فريدة من نوعها ، هناك مبادئ عامة واتجاهات مشتركة بين تجارب عديدة يمكن استغلالها والاستفادة منها . لكن يبدو أساسا وكأن كل شيء يعيد نفسه من جديد في كل مرة ، مما يجعل ظهور مشاكل ومصاعب أكثر تعقيدا ، ومطلب الإبداع أكثر إلحاحا .

لم تتج بلادنا من هذا المنطق ، فقد عرف المجتمع الجزائري تحولات وإنجاز مشاريع إنمائية اقتصادية ، رياضة وثقافية هامة ، وهي ضرورية للنمو ولمواجهة تحديات ومتطلبات العصر المتزايدة يوم بعد يوم ، حجما وتعقيدا . بحيث شكلت التنمية الشغل الشاغل لكل الحكومات التي تعاقبت منذ الاستقلال ، وكانت أحد المحاور التي ينصب حولها تنظيم أعمال التطهير والإنعاش الاقتصادي والتطور الاجتماعي والثقافي ، وبغض النظر عن النتائج لمحققة . لكن ذلك لم يكن كافيا ، لأن النمو لم يكن كاملا وشاملا . قطاع جد هام لم يأخذ نصيبه من التنمية ، لجأت إليه كثير من الدول باهتمامها الكبير وإعطائه كل العناية ، وجعلت منه مصدر دخل معتبر ، خففت به عبء المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .

يتمثل هذا القطاع في المجال السياحي ، فمثلا الحاجة إلى النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . فإنها ، أي الحاجة لا تقل إلحاحا بالنسبة للنمو السياحي والبيئي ، نظرا للنتائج التي كان ممكنا تحقيقها من خلال تفعيل هذا القطاع، والدور الذي كان يجب أن يقوم به في تنمية الوطن وتطوير المجتمع .

واقع السياحة بالجزائر :

تمثل السياحة إذن ، المحرك الجديد للتنمية وبالأخص التنمية المستدامة ، فهي بمثابة دعامة النمو الاقتصادي بالجزائر ، نظرا لإمكانياتها في خلق الثروة والشغل ، وإمكانياتها في الحصول على مداخيل باستمرار واستدامة ، لكن النشاط السياحي فيها دون الإمكانيات الموجودة ، إمكانيات هامة وكافية للإقلاع بقطاع

السياحة ، لكن هذه الثروة غير مستغلة ، بحيث لم يدخل إلى الجزائر من السواح الأجانب إلا العدد القليل مقارنة بالدول المجاورة مثل تونس والمغرب ، وبدون ذكر الأرقام التي تبلغها مختلف الجهات المختصة ، يستطيع العام والخاص التأكد من ذلك من خلال مشاهدة الواقع.

عائدات السياحة في الجزائر لم تتعدى 173 مليون دولار عام 2005 حسب تصريحات وزير السياحة الجزائري نور الدين موسى في 18 أفريل من سنة 2006 في مؤتمر صحفي عقب إختتام أعمال ملتقى السياحة الحضرية بالجزائر والتي يصفها بالضعيفة (1).

يمكن الارتقاء بهذا القطاع الحيوي والهام ، لأن " الجزائر من الدول التي تمتلك طاقات وموارد متجددة ، يمكن الاعتماد عليها كمصدر دخل قوي للدولة " (2)، الطاقة السياحة يمكن أن تحقق نتائج إيجابية والوصول إلى الهدف المنشود ، والمتمثل في جلب أكبر عدد ممكن من الزوار والسياح ، للحصول على إيرادات إضافية تلبي حاجيات البلاد من العملة الصعبة ، يكفي فقط العودة والنظر إلى تجربة الدول المجاورة أو إلى التجارب التي حققت نجاح في النشاط السياحي ونستمد من نجاحاتهم وكذلك من اخفقاتهم ، ولإعطاء البعد اللائق والأهمية اللازمة حسب الإمكانيات الكبيرة المتوفرة لدينا.

يتعلق الأمر بتنمية القوى السياحية المحلية وإدراجها في المحيط والسياق التجاري الوطني ، وجعل الجزائر وجهة سياحية ذات مستوى وقيمة وعلامة

(1) www.arabic.xinhuanet.com

(2) الجوزي وهبة : " استراتيجية التنمية السياحية والرياضية في الجزائر " ، في مجلة : "فضاء الباحثين الجزائريين "، العدد 01 ، مارس 2009 ، معهد التربية الرياضية و البدنية و الرياضة ، جامعة الجزائر ، ص 95.

معترف بها. والواجب لتحقيق هذه الأهداف هو التكفل بمختلف محاور العمل في هذا القطاع ، ويتطلب الأمر بتحديد طريقة عملية منظمة ومستمرة ومتواصلة ، تسمح بالتتعم بنشاط يطمح بالمشاركة أنيا في المداخل الوطنية ، ومستقبلا تعويض مداخل الطاقة الغير متجددة المتمثلة في ثروة البترول والنفط .

بعيدا عن الطموحات الاقتصادية وأهدافها ، كل الأمور توجي بوجود إرادة سياسية في المحافظة على البيئة وتثمين الرأسمال الطبيعي والثقافي ، وإعادة الاعتبار للتراث السياحي الوطني ، وبالتالي تحسين الإطار المعيشي من خلال إعادة الاعتبار لمختلف مناطق الوطن ، وإعطائها حظوظا بتدعيم جاذبيتها السياحية وثروتها الثقافية. هذه العوامل تسمح بخلق الشغل بتحريك وتفعيل قطاعات موازية مثل الفلاحة ، الصناعات التقليدية ، الثقافة والفن ، الخدمات ، النقل والمواصلات ، البناء والأشغال العمومية ، الصناعة ، المراكز والمعاهد المكونة والتنمية المحلية ، وغيرها من القطاعات بمختلف نشاطاتها.

الوعي إذن بأهمية تنمية السياحة واعتبارها محرك إضافي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يفرض ضرورة وضع استراتيجية وطنية محكمة ، مبنية على نظرة مستقبلية ومرتكزة على أهداف تنموية ، اجتماعية، اقتصادية وثقافية، واعتبارها بمثابة صناعة ناشئة، وليست بقطاع صغير أو نشاط معزول وبسيط.

فالإيمان بأن السياحة ضرورة ملحة ، يمر عبر تشخيص المشاكل الرئيسية المباشرة والغير مباشرة للقطاع السياحي والتطورات والمفاهيم المعروفة ، والاتجاهات الواجب اعتمادها لفهم الرهانات الكبرى على المستوى الوطني والمحلي. الإستراتيجية لا بد أن ترمي إلى إعادة التوازن من حيث تغيير سمة الجزائر من بلد مصدر للسواح ومرسل لهم إلى وطن مستقبلي وموفر للخدمات السياحية ، بهدف رفع المداخل السياحية . وضروري تغيير اللغة والتخلي على

طريقة حساب فقط عدد السواح المتوافدين على الجزائر كل سنة ، الأمر يجب أن يتغير من مبدأ الكم إلى مبدأ النوعية .

فالسّياحة والأسفار أصبحت استهلاكا مستقرا أكثر فأكثر ، بحيث يعرفان الثبات والدوام في البلدان الكبيرة المصدرة للسواح ، بالرغم من الأزمة العالمية والصعوبات الاقتصادية التي تظهر هنا وهناك ، وبعض المشاكل الأمنية التي تعرفها مناطق عديدة في العالم ، تضاف إليها التقلبات الطبيعية والعوامل المناخية التي تحدث من حين لآخر .

فالإقبال على السّياحة والسفر يرجع أساسا إلى عوامل أخرى ، منها تطور الثروة الاقتصادية العالمية ونموها على العموم ، الاستقرار الاجتماعي والسياسي للأغلب بلدان أوروبا خاصة ، سهولة التنقل الجماعي والاتصال التكنولوجي ، التمتع أكثر فأكثر بأوقات الفراغ ، تطور وسائل الإشهار والدعاية ، وكذلك الاهتمام أكثر بثقافة الآخر والرغبة في التعرف على الغير ، وبزوغ اهتمام متواصل بالبيئة والرغبة الدولية والعالمية في حمايتها .

كل هذه العوامل جعلت من السّياحة تأخذ أبعادا استراتيجية ، لكن نشأتها وجذورها تاريخية تعود إلى سنة 1950 ، أي بعد الحرب العالمية بحيث يعد ظهور السّياحة وتطورها من أهم الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها العالم بعد مرحلة اتسمت بالحرب والاستقرار العالميين .

النظرة الحديثة للسّياحة تؤكد تطور المجتمعات والتمتع أكثر بأوقات الفراغ لنقص فترات العمل وتعدد العطل وتوسعها ، مما شجع التنقل والسّياحة والسفر القصير لكل الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية . بتطور السّياحة نوعا ونوعية أصبحت كل الفئات قابلة للتأثير وبالتالي لكل فئة اتجاه واختيار .

المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية عوامل محددة للاتجاهات والاختيارات السّياحية وبدورها تتوقف على تطور المنتج السياحي وكيفية تسويقه . لهذا يتطلب

الأمر توجيه دقيق للوطنيين خاصة وكذلك على استغلال أقصى للإمكانيات الموجودة ، بتشجيع المؤسسات العامة والخاصة على الاستثمار الجدي في السياحة تلبية للطلب المحلي والدولي المتزايد باستمرار .

كما تلعب الأسعار ونوعية الخدمات الحوافز الرئيسية في جلب السواح ، مع إمكانية إقامة الدعاية والإشهار بطرق حديثة وعصرية عندما يتعلق الأمر في الرغبة في الحصول على المعلومات أو لحجز الأماكن والغرف . تبقى الانترنت حاليا الوسيلة المفضلة ، السهلة والسريعة المستعملة كثيرا ، وما يجب معرفته هو أن فئة الشباب هي الأكثر سفرا عبر العالم ، فالشباب ينتقل بعيدا ولمدة طويلة أكثر من غيرهم ، ولو أنهم أكثر الناس تشددا بنوعية الخدمات ووسائل الراحة ، لهذا نجدهم ينفقون أكثر كذلك .

فاهتمام الأجانب خاصة من دول الشمال ، أصبح أكثر بدول الجنوب فيما يتعلق بالسياحة والترفيه والتجوال ، نظرا لما تزخر به من ثروة ، مثلما هو الحال عبر مختلف أرجاء بلادنا ، من حيث شساعة المساحة وتنوع المناظر الطبيعية ، الأثرية ، التاريخية والثقافية وغيرها . فالتنوع سمة من سمات الجزائر ، بحيث تستطيع أن تنتقل من ضفاف البحر وشواطئه إلى الجبال ، ثم إلى المناطق الصحراوية الشاسعة في زمن قياسي وفي رحلة سياحية واحدة .

فسواحل الجزائر تمتد على مساحة 1200 كلم ، بدءا من القالة شرقا إلى حدود شواطئ بلمهيدي غربا مروراً بكورنيش عين الترك ، مستغانم ، الغزوات ، كورنيشات الظهرة وجيجل وميناء سكيكدة وشبه جزيرة القل وتيشي بجاية ، زيامة منصورية وشطايبي المشهور . أما منطقة القبائل ، فشواطئها تمتد من ولاية بومرداس حتى أزفون مروراً بزموري ، دلس ، تقرت ، وصولاً إلى الجنة الصغيرة بحدود الغابة الفاصلة بين ولاية تيزي وزو وبجاية .

الجزائر بلد سياحي كبير ، ثروته الأولى في هذا المجال هي السواحل التي تم الحفاظ على جمال شواطئها . والثروة الكبيرة الثانية تتمثل في الجبال والمناطق المرتفعة في الهضاب العليا والسهوب ، ثم أن لها ثروة لا تزول وهي الصحراء ، إنها معجزة إنسانية في تاريخ البشرية (Dae Won , P2005)

إذن ، إمكانيات حقيقية تزر بها الجزائر ، يمكن أن تستقطب بها الزوار والسواح من مختلف أنحاء العالم ، وهذا لتعدد المناطق السياحية وتميز كل منطقة عن الأخرى من حيث الخصائص ، بحيث تختلف سياحة منطقة عن سياحة منطقة أخرى حسب اختلاف الفصول والتضاريس والمناسبات والأعياد ، " فالجزائر أرادت لها الطبيعة أن تكون بلدا سياحيا بالدرجة الأولى " (الجوزي ، و. 2009)

ولأن الجزائر تعيش أزمة اقتصادية واجتماعية تتمثل أساسا في نقص فرص العمل ، الفقر والجفاف ، غلاء المعيشة لارتفاع سعر السلع الاستهلاكية ، تدهور القدرة الشرائية مثل أغلب دول الجنوب ، فهي تعلق آمالا كبيرة على السياحة في الآونة الأخيرة للتخفيف من الأزمة ، لما يمكن أن يجلبه قطاع السياحة من إنعاش وتدفق عائدات مباشرة وفورية خلال مواسم استقبال السياح الأجانب والمغتربين ، لكن دون إهمال السياحة الداخلية التي تشهد تحركا متزايدا أكثر فأكثر نحو الخارج .

لدعم هذه الطاقة ، يجب تنمية عدة مشاريع وتثمين عدة مناطق وأماكن من معالم ومتاحف وحدائق مناسبة للسياحة ، موجودة في المدن والأرياف ، ونجدها قرب السواحل وعلى مشارف الجبال والقرى ، وفي الصحراء والمناطق الداخلية .

لكن توفر الإمكانيات لا يعني سهولة المهمة ، فالعوامل مثل الأمن ، الصحة ، الإطعام ، الراحة يجعل دائما سواء السواح أو مستقبلهم من المحترفين الحقيقيين في قلق وانشغال دائمين خاصة عندما يتعلق الأمر بالبلدان الجنوبية . لهذا تقوم الدول السياحية الكبرى كل ما في وسعها لتوفير الأمن والمراقبة الدائمة

والصارمة على نوعية الخدمات من الاستقبال ، الإيواء ، النقل والإطعام ، وكل ذلك لغرض الإبقاء على مكاسب سنوات من الجهد والعمل المتواصل التي يجعلها في وضع راحة طالما تستطيع توفير الاستقرار والأمن للأشخاص والممتلكات .

المداخل العالمية الناتجة عن السياحة في ارتفاع ، وعدد المشتغلين بالقطاع بازدياد مستمر ، لأن البحث والسعي الدائم على تجديد وتحديث المنتج السياحي خدمة ووسيلة يجعل القطاع في تطور وازدهار . لكن في الجزائر الأمر مغاير كأنه في تراجع ، في حين بلدان أخرى في البحر الأبيض المتوسط من أكثر البلدان المستفيدة من السياحة العالمية ، لعدة عوامل أهمها المناخ الملائم ، الموقع الجغرافي الوسطي ، وكذلك نوعية الخدمات المقترحة وأسعارها التنافسية يجعل بلدان مثل تونس والمغرب من أكثر البلدان المستقبلية سنويا لموجة من السواح الوافدة إليها من مختلف أرجاء العالم . كما تحظى مصر بالاهتمام للاعتبارات التاريخية التي تعرف بها ، ونظرا للوعي السائد بأهمية السياحة والعمل المتواصل على تطوير القطاع لديهم .

تبقى الجزائر بعيدة عن موقع هذه الدول عندما يتعلق الأمر بقطاع السياحة، رغم كل الظروف والعوامل ورغم كل شيء . وللذكر فقط وليس للعد ، نملك أكثر من غيرنا للأماكن والحمامات المعدنية المتميزة بالخاصية العلاجية ، نجد محطات هامة مثل حمامات بوغراة بتلمسان ، بوججر بتموشنت ، بوحنيقية بمعسكر ، حمام الصالحين ببسكرة ، القرقور بسطيف ، الشلالة بقالمة ، حمام ريغة بالشلف ، حمام كسانة بالبويرة ، وغيرها .

المناطق الجبلية تتمتع بظروف جد مشجعة نظرا لطبيعتها في الشمال خاصة ، فإن محطات مثل تيكجدة بالبويرة ، ومحطة تالاغيفل بمنطقة بوغني وياكوران بولاية تيزي وزو ، والشرية بولاية البليدة بإمكانها جلب الآلاف خاصة

في فصلي الشتاء والربيع ، لإحتواءها على إمكانيات الترحلق ، أولا لارتفاع هذه السلاسل الجبلية وتوفرها على طرق ووسائل مهيأة لذلك .

كما يمكن استغلال المنابع المعدنية لأهميتها الاقتصادية والاجتماعية المحلية والجهوية ، ونذكر أهم ما نعرف منها تلك الموجودة بالمصران بالجلفة ، سيدي سليمان بتسمسيت ، الزايد بالطارف ، شيقر بتلمسان ، نبايل بقالمة ، الصالحين بالمدية ، وغيرها من منابع صحية جد مفيدة خاصة لفئة المسنين المحليين والأجانب خاصة من دول عربية وشقيقة .

رغم إجراءات الإنعاش المختلفة في مختلف المجالات المذكورة ، نسجل عدة نقائص تتمثل في قلة التحضير لتقديم مردودية أكبر وخدمات أجود وأحسن ، خاصة في ظل تحسن الوضع الأمني والاستقرار السياسي ، ووعيا وإيمانا بالنتائج الإيجابية التي تعود على المجتمع بمختلف شرائحه اجتماعيا واقتصاديا .

وعليه ، أصبح قطاع السياحة منافسا ومزاحما لقطاعات عديدة في المجال التجاري ، ومكملا لنشاطات أخرى اقتصادية ، نظرا لما يمكن أن يقدمه للعمالة والنقل والإطعام والصناعة التقليدية . لهذا تطورت الظاهرة السياحية التي جاءت نتيجة تقدم وتطور مستمر لمستوى معيشة الشعوب الشمالية للعالم من جهة ، ومن جهة أخرى تكتسي صبغة اقتصادية وتجارية جد هامة لعدة بلدان الجنوب التي تعاني مجتمعاتها التخلف والفقر ولحاجتها إلى مداخيل فورية وسريعة .

ما يجب التأكيد عليه في ميدان السياحة ، هو وجوب الاهتمام والاعتناء باحتياجات الإيواء أولا وقبل كل شيء لاستقطاب السياح الوطنيين أو الأجانب ، عن طريق بناء الفنادق بمختلف التصنيفات وتهيئة سكنات جماعية ونصف جماعية وفردية ، وكذا النقل والمواصلات للتنقل بالسهولة وبسرعة ، وفي ظروف مريحة .

" غير أن السياحة في بلادنا عرفت تدهورا وتقهقرا كبيرين خلال العشرية الأخيرة نتيجة الأوضاع الأمنية التي عاشتها البلاد مما أثر على القطاع وأهمل بعض الشيء ، بالإضافة إلى بعض الصعوبات مثل سوء التسيير وقدم المنشآت السياحية حيث يعود معظمها إلى السبعينيات ، وبذلك أصبحت لا تتماشى مع العصر، والتي لم تكن موضوع اهتمام وصيانة مستمرة ، فضلا عن قلة الإطارات المؤهلة العاملة في هذا القطاع ، الأمر الذي أدى إلى انعكاسات سلبية على هذا القطاع الحيوي الاستراتيجي " (بشلوش، ط.م. 2008)

قطاع استراتيجي فعلا ، للمداخل التي يمكن أن يجلبها لو تم التحكم أحسن في التسيير وتسطير التوجيهات واحترامها ، وأخذ المبادرات والحرص على الانسجام والتنظيم المستمر والمتواصل، والتخصص بدل التشتت والإهمال .

مداخل الجزائر من هذا القطاع متواضعة وبعيدة عن مستوى البلدان المحيطة ، هي أقل أهمية في بلادنا من حيث الثروات السياحية المختلفة ، وكل ذلك يعود أيضا إلى تراجع الاستثمارات ونقص المبادرات وقلة إمكانيات الاستقبال ، بحيث يتم الاعتناء أكثر بقطاعات لا تقل أهمية في الحقيقة من السياحة ، كعالم الريف ، ناهيك عن مسألة الأمن والاستقرار .

لكن المجتمع الآن بحاجة من أي وقت مضى لاستغلال كل القطاعات بما فيها السياحة ، للتخفيف من عبء المعيشة في محاولة الابتعاد من الفقر والبطالة ، وهروبا من الآفات القاتلة مثل العنف والانتحار جراء الفراغ واليأس والبؤس .

ولهذا ، نقول أن مستقبل السياحة بالجزائر واعد لعدة خصائص ، أهمها البحر ، الشمس ، الجبال ، الثقافة ، التاريخ ، الطبيعة ، الصحراء ، الآثار ، المدن العريقة ، الأكل ، اللباس ، الصناعة التقليدية ، المنتج الفلاحي ، الزراعي والحيواني ، الرياضة ، المساحة ، وغير ذلك من المحفزات والمجذبات .

المنتوج السياحي الجزائري يتميز بالجمال ، الغنى ، التنوع ، الاختلاف وعذرية الطبيعة ، المناخ المعتدل . لكن السائح الحالي أكثر من أي وقت مضى لا ينفق إلا وهو راض ، ونجاح السياحة لا تكون إلا بعودة كل من يزور ، لأن الرجوع أو عدمه من علامات النجاح أو الفشل .

حاليا ، عدد قليل من الولايات تتوفر على إمكانيات الاستقبال وترتكز أكثر داخل المدن الكبيرة والمراكز الحضرية ، وهو ما لا يتماشى مع النظرة الجديدة للسياحة والطلب العصري للمنتوج السياحي المتمثل في الطلب والبحث عن الراحة والترفيه والهدوء ، وكل ما هو مجاور ومنعزل وطبيعي . فالأمر غير ذلك لدينا ، العراقل جمة ، أشكالها تتجلى في :

- النوعية السيئة للخدمات المقدمة في الفنادق الموجودة حاليا .
- غياب الاحترافية لدى مسيري القطاع ، الخواص منهم والعموميين .
- غياب الإعلام المثلث للإمكانيات الموجودة .
- ضعف ونقص الموارد البشرية المختصة .
- ضعف النقل والمواصلات الموجهة للسياحة والمخصصة للسواح .
- عدم مسايرة البنوك للإرادة والرغبة في الاستثمار في المجال السياحي .
- هشاشة الوضع الأمني وانتشار العنف والجريمة في المجتمع .
- نقص الوعي الاجتماعي بضرورة تغيير الذهنيات وتحسين طرق الاستقبال وتقديم الخدمات .
- نقص النظافة العامة وسوء استعمال الفضاءات الجماعية وجعلها لغير أغراضها الطبيعية .

كل هذه العوامل تجعل الوضعية وضعية طرد وإبعاد وليس بوضعية جذب وإغراء ، بالرغم من أنه يعرف فيما مضى على الجزائر من حسن الاستقبال والضيافة والنظافة وحب الغير واحترامه ، ورغم الجهود التي تبذل لتنشيط القطاع ، إلا أن الاستفاقة على ما يبدو ليست قريبة وليست غدا .

خصائص القطاع السياحي :

- تعتبر السياحة شكل من أشكال التنمية وعامل من عوامل التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الإيجابي .
- تعتبر السياحة مصدرا من مصادر الدخل من خلال مناصب العمل التي تنجر عن النشاط السياحي بصورة مباشرة أو غير مباشرة .
- الاهتمام بالسياحة يدفع حتما إلى الاهتمام بالبيئة وسلامة المحيط الطبيعي والمعيشي للأهالي ولأماكن الاستقبال ، والعمل دوما على استدامة الوضع.
- العمل في الحفاظ على الموروث التاريخي والثقافي الحضاري .
- العمل على خلق مناطق جديدة باستمرار لتلبية الطلبات المتزايدة والمتجددة.
- التبادل الثقافي والعلمي والاحتكاك والتواصل المؤدي إلى التطور الاجتماعي والاقتصادي .
- تفاعل قطاعات أخرى مع قطاع السياحة وتكاملها من حيث ارتباط كل قطاع بآخر ، وحاجة كل قطاع لقطاع آخر .
- التأسيس لثقافة سياحية لدى أفراد الشعب تمكنهم من استيعاب الآثار الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية بالتبادل و الاحتكاك بمختلف الأجناس وثقافتهم.
- بالتالي تنمية الفرد والمجتمع في مختلف المستويات.

المستلزمات المستعجلة للنهوض بقطاع السياحة في الجزائر :

"ونؤكد في هذا المجال أن الجزائر لما تتمتع من قدرات وإمكانات اقتصادية وموقع جغرافي استراتيجي وخصائص طبيعية أخرى ، يمكن أن تصبح قطبا سياحيا عالميا على غرار الأقطاب السياحية المتوسطية ، بذلك توفر دفعا قويا لقطاعات النشاط الاقتصادي المختلفة (...)، غير أن تجسيد هذه الحركية التنموية لن

يتأتى إلا بتوفر شروط محددة ضمن استراتيجية سياحية بعيدة المدى تتحقق من خلال (...) توفر بعض العوامل التي تدركها السلطات العمومية في الجزائر ، خصوصا تلك التي تشرف (مباشرة) على إدارة هذا القطاع (...) كشروط لنهوض بالسياحة في الجزائر ، من هذه العوامل :

- 1 - ضرورة امتلاك السلطات العمومية لإدارة سياسة قوية للنهوض بهذا القطاع وضمنان تنميته بشكل دائم و مستمر (...).
- 2 - وجود 'تسريع وتنظيم' واضح يحكم هياكل وعلاقات العناصر المختلفة التي تنشط ضمن هذا القطاع.
- 3 - وضع مخططات سياحية تضبط وترتب أولويات النشاطات السياحية على مستوى التراب الوطني.
- 4 - تثمين الموارد البشرية العاملة بالقطاع و ترقيتها بشكل مستمر ، حسب خطط علمية مدروسة .
- 5 - وضع معايير إدارة تسيير القطاع السياحي ، وفقا للمعايير الدولية المعمول بها في مختلف المستويات (بوكابوس، س. 2004)

إضافة إلى تضافر بعض العوامل الأخرى وتوفر بعض الشروط أهمها :

- تشجيع الاستثمار في السياحة من خلال البناء والتشييد والتأهيل ، وتقديم امتيازات ضريبية وعقارية وغيرها .
- نشر الوعي والتحسيس بأهمية الموروث الثقافي والحضاري في كل أرجاء الوطن ، وتشديد الرقابة على كل المعالم الطبيعية والأثرية .
- الحرص على نظافة البيئة ، في الشواطئ والغابات ، وفي المحيطات العمرانية والسكنية ، في المطارات وداخل وسائل النقل وفي الفنادق والمطاعم..
- ترقية الإعلام السياحي والمتخصص ، والاهتمام بالترويج عن طريق كل الوسائل الاتصال العصرية بدون استثناء .

- تشجيع البنوك على توفير الأموال لكل المساهمين والمشاركين في القطاع السياحي ، من المستثمرين والوكالات المنظمة للرحلات والأسفار ، وأصحاب وسائل النقل والمواصلات ، والممولين للقطاع من حيث السلع المادية ووسائل التنظيف والمراقبة ، والتحسين والتزيين وغيرهم .
- تنظيم لقاءات بانتظام بين مختلف الشركاء للتقييم والتشريح ، من أجل التحسين والتغيير ، ولغرض الاستدامة والتكريس .
- التشريع وتقنين التعامل السياحي وكل النشاطات التي تتصل بذلك .
- تمويل البحوث العلمية المتصلة بالسياحة والتي تتناول بالدراسة مشاكلها وآفاق تطورها .
- العمل على نشر ثقافة الود والترحاب والمعاملة الحسنة والاحتفاء ببشاشة وابتسامة ، عملاً بمبدأ حسن الضيافة والاستقبال .
- الصرامة ومعاقبة التخريب والتهريب ومحاربة كل أعمال العنف والسرقة ضد الأجانب والمغتربين الذين يدخلون وطنهم مرفوقين عادة بكل العائلة .
- تشجيع مكاتب الدراسات بهدف التوصل إلى اقتراحات جديدة وعلمية ، ومنه سنتطرق إلى مجالات عديدة يمكن استثمارها في مختلف النشاطات والأعياد والمواسم .

محالات السياحة في الجزائر :

- السياحة الثقافية ، خلال التظاهرات الثقافية .
- السياحة الساحلية ، تكون على شواطئ البحر وعلى السواحل التي يمتد طولها 1200 كلم .
- السياحة التاريخية ، للمناطق الأثرية والمتاحف .
- السياحة الترفيهية ، قصد الترفيه والراحة والاستجمام .

- السياحة الجبلية ، للتسلق والاستمتاع بالمناظر الجبلية التي يمكن تصنيفها إلى سلسلة الجبال الساحلية ، سلسلة الهضاب العليا ، سلسلة الجبال الوسطى ومرتفعات الجبلية للصحراء.
- السياحة الصحراوية ، في المناطق الصحراوية الجنوبية والتي تقدر مساحتها بما يقارب 02 مليون كلم2.
- السياحة الدينية ، أثناء الأعياد الدينية وخلال شهر رمضان .
- السياحة العلمية ، بتنظيم أيام دراسات ، زيارات ميدانية قصد البحث والاستقصاء وتبادل التجارب والمعارف .
- السياحة الرياضية ، أثناء التظاهرات والمناسبات الرياضية مثل الراليات والألعاب الإقليمية والدولية المختلفة .
- السياحة الموسيقية ، أثناء المهرجانات الفنية لمختلف الطبوع الموسيقية والحفلات المناسبتية .
- السياحة التجارية ، عن طريق المعارض واللقاءات التجارية والتعاملات الاقتصادية .
- السياحة الفلاحية ، في الاحتفالات بالمتوجات الفلاحية والزراعية عبر مختلف مناطق الوطن .
- "مع التأكيد أن قطاع السياحة هو الذي يلعب دور القاطرة في جر وسحب قطاع الصناعات التقليدية ووضعه على مسار نمو متواصل ، لضمان تنمية شاملة للقطاع ، باعتباره مجالا واسعا للاستثمار وسوقا أوسع لمنتجات الصناعات التقليدية والحرف ، مساهما بذلك في زيادة نصيب هذا القطاع في إنتاج الناتج المحلي الخام " (بوكابوس، س. 2004)

رغم كل هذه الإمكانيات والمؤهلات تبقى الجزائر على هامش التطور السياحي فرص غير مستغلة تجعل منها أضعف وجهة سياحية في منطقة المتوسط وتحتزل

نصيب الوطن من السياحة العالمية إلى 1 % وتجعل الجزائر تحتل مرتبة ضعيفة عالميا (anaba.org)

نقاط القوة المذكورة تقابلها نقاط ضعف تتمثل في نوعية خدمات غير تنافسية ، عروض الإيواء متواضعة ، يضاف إلى ذلك قلة الاحترافية ، وتعد مشاكل البيروقراطية والإهمال أحد العوامل الرئيسية لغياب سياسة واضحة المعالم ، تحدد مسؤولية كل طرف في النشاط السياحي وتهيئة خاصة المدن الكبرى وبالأخص الساحلية لاستقبال السواح والزوار والمصطافين .

إن المستقبل للبيئة النظيفة والسليمة وللسياحة المتطورة وللتنمية المستدامة ، ولتحقيق هذا المبتغى يستلزم الأمر إقامة برنامج اجتماعي اقتصادي ثقافي وطني يوجه الفرد والمجتمع ، يوجه المواطن والإدارة نحو ، الحفاظ على كل الموارد واستمرارها واستدامتها وتطويرها لاستقطاب المداخل من طريق النشاط السياحي ، تحسبا لنفاذ الثروات الزائلة والغير متجددة.

الخاتمة :

ولا يسعنا بعد كل ذلك إلا القول بأن جل المدن الجزائرية خاصة الكبيرة ، تحتوي على أكثر من معلم سياحي وأكثر من منطقة طبيعية متميزة ، ولكل منطقة خاصيتها المتميزة وثقافتها المحلية ، عادات وتقاليد عريقة ، طبائع موسيقية وألبسة مختلفة وأشكال عمراني أصيلة ، أكالات مشتركة بين مختلف المناطق وأخرى تميزها .

لو أخذنا أي مدينة من مدن الجزائر سواء كانت الجزائر العاصمة أو أي مدينة أخرى مثل مدينة قسنطينة ، وهران ، تلمسان ، غرداية ، بسكرة ، تيزي وزو ، بجاية وغيرها ، لوجدنا أن لكل واحدة ميزتها وتاريخها وعاداتها وطابعها الموسيقي ، ومكانتها الاقتصادية والجغرافية التي تجعلها تختلف كليا عن الأخرى .

مدينة مثل الجزائر العاصمة تحتوي على متاحف وحدائق للتسلية ، شواطئ خلابة ، ميناء ، القصة العريقة ، مقام الشهيد شاهد على التاريخ وأهله ، أحياء قديمة ، عادات معروفة ، مساجد شامخة ، شوارع واسعة ، جامعات متطورة محيطة من كل جهة ، فنادق ومراكز للفنون ، غابات كثيفة، وكذلك قوة بشرية عاملة مهيأة للبناء والتسيير والتشييد.

إن القدرات والإمكانات الاستيعابية التي تتوفر عليها الجزائر في ميدان الاستثمار السياحي ، تسمح بتنفيذ استراتيجية كفيلة بتحقيق كل الأهداف والنهوض حتما بالقطاع السياحي، وانتشار آثاره الإيجابية عبر فروع نشاطات أخرى ، أهمها التشغيل والتقليص من نسبة البطالة خاصة لدى الشباب ، رفع الإيرادات بالعملية الصعبة وبالتالي رفع من مستوى معيشة أفراد المجتمع .

وفي الأخير ، لا أجد أحسن مما صرح به سفير كوريا بالجزائر "بارك داي وون Park Dae Won " في المرجع السابق الذكر بقوله عندما يصف الجزائر : " إنه بلد لا يكف عن مفاجئتك . وجمال الجزائريات والجزائريين من نوع خاص . المناظر والمعالم التاريخية جذابة والثقافة فريدة بسبب تنوع مكوناتها . كل مرة أنقل فيها إلى مدينة كأنني أغير البلد" (Dae Won, P. 2005)

المصادر :

1 - الجوزي وهيبه : "استراتيجية التنمية السياحية والرياضية في الجزائر "، في مجلة : "فضاء الباحثين الجزائريين " ، العدد 01 - مارس 2009 ، معهد التربية الرياضية والبدنية والرياضة ، جامعة الجزائر .

2 - سعدون بوكبوس ، "دور القطاع السياحي في تنمية قطاع الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر"، في دورية : "دراسات اقتصادية " ، العدد 03 - 2004 ، مركز البصيرة للبحوث والدراسات الإنسانية ، الجزائر .

3 - طاهر محمد بشلوش : التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999) ، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي ، دهر بن مرابط للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 .

4 - محمد روراوة - بدر الدين ملي ، "الجزائر - الدليل الاقتصادي والاجتماعي" ، ترجمة : عبد العالي بورغدة ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر ، 1989.

5 - أدلة ووثائق منوغرافية سياحية عن مختلف مدن ومناطق الجزائر ، لمديريات السياحة لمختلف الولايات.

6 - Park Dae Won : "L'Algérie 2028 – Le Défi Relevé " , Ed. FOREM, Alger, 2005.

7 - www.arabic.xinhuanet.com

8 - www.annabaa.org